

## الفارابي

(تابع ما قبله)

ومن كتبه كتاب في الآداب اسمه السيرة الفاضلة . وكتاب في السياسة اسمه السياسة المدنية . قال مؤرخو العرب عنها ان الفارابي الم فيها معظم الآراء النافعة في ما وراء الطبيعة حسبما علمها أرسطو وذكر « الستة أركان المجردة » واصفاً ما تشبهُت المادة الكثيفة من تلك الأركان من الترتيب وطريقة الوصول الى العلم . وهالك نص كلام القفطي : —

« ثم له بعد هذا في العلم الالهي وفي العلم المدني كتابان لا نظير لهما احدهما المعروف « بالسياسة المدنية » والاخر المعروف « بالسيرة الفاضلة » عرف فيها بجمل عظيمة من العلم الالهي على مذهب ارسطو طاليس في مبادئ الستة الروحانية وكيف يؤخذ منها الجواهر الجمالية على ما هي عليه من النظام واتصال الحكمة وعرف فيها بمراتب الانسان وقواه النفسانية وفرق بين الرُحي والفلسفة ووصف اصناف المدن الفاضلة وغير الفاضلة واحتياج المدنية الى السيرة الملكية والنواميس النبوية

« ثم انه أتى على العناصر المختلفة المكونة للطبيعة البشرية وخواص النفس وبين الفرق بين الرُحي والحكمة ووصف الهيئات المنظمة والجماعات التي المنظمة واظهر حاجة المدنية الى حكومة سياسية والى شريعة دينية . هذا ملخص ما ورد في عيون الانبياء واخبار الحكماء لابن ابي اسبيعة والقفطي ولاشك عندنا الآن في انهما يتصدان بكتاب السياسة المدنية كتاب المدينة الفاضلة وقد يكون الفارابي وضع له اسمين كما تدور في بعض مؤلفاته . فان كتاب السياسة يسمى ايضاً مبادئ الموجودات

اما مبادئ الموجودات الستة او « الستة أركان المجردة » او « مبادئ الستة الروحانية » فهي

١ — المبدأ الالهي او السبب الاول وهو فرد اي واحد لا يتعدد

٢ — الاسباب الثانوية او عقول الاجرام السموية

٣ - العقل الفعّال

٤ - النفس .

٥ - الصورة

٦ - المادة المنوية

والمبدأ الاول هو بغيره الاحدية المطلقة وما عداه متعددو الثلاثة المبادئ الاولى ليست اجراماً وليس لاحدها علاقة مباشرة بالاجرام والثلاثة الاخيرة ليست بذاتها اجراماً ولكنها متعلقة بها . والاجرام على ستة انواع اجرام الدوائر الفلكية والحيران العاقل والحيران الغير عاقل والنبات والمعادن وتلحق بها العناصر الاربعة وبمجموع هذه الانواع يكون الوجود . وبعد ان ابان الفارابي ما ذكرنا تكلم على ما يستنبط من تلك المبادئ الستة الى ان وصل الى الانسان فخص نظام الجمادات البشرية ونسبها الى غاية الوجود الانساني من حيث القرب والبعد من الكمال الذي هو نهاية كل موجود . وقال انه لا يصل الى درجة الكمال القصوى الا ذوو الذكاء التام والقادرون على التأثر من العقل الفعّال

### الدرجة القصوى في الكمال

ويشترط ان يكون العقل الفعّال قد منح الانسان الدراية الاولى التي يتفاوت الناس (بتفاوت خواصهم الطبيعية والبدنية) في الاستعداد لتو توف عليها والمداية بها . وان هؤلاء الذين خطوا الخطوة الاولى وملكوا القدر الضروري من العلم يستطيعون بجدد وتأثير العقل الفعّال ان يصلوا الى ارقى درجات الكمال . وينبغي لهم ان يفقهوا معنى درجة الكمال القصوى وان يجعلوها غايتهم ومقصدهم وان يتفوقوا عليها كداهم وذكاهم وسائر اعمالهم فاذا تيسر لهم ما تقدم وصلوا الى حالة «العقل بالملكة» وهي الدرجة السابقة لدرجة العقل المستفاد فاذا بلغوا تلك الدرجة اتصلوا بالعقل الفعّال واصبحوا على اتم ما يكون من الاستعداد للتلقي والاطعام . واذا وصل الانسان الى تلك الدرجة يحق ان يقال عنه انه بلغ درجة الوحي الالهي وانه عادل الانبياء . ولا يبلغ الانسان هذه الدرجة العليا الا اذا ارتفع كل حجاب بين العقل الفعّال وبينه وهذه هي الحالة الوحيدة التي يعترف فيها الفارابي بالوحي وقد خالف بها آراء المتكلمين كما هو ظاهر

## خلود النفوس بالجملة او وحدة النفوس

يقول الفارابي بعد ذلك من الجلي لذ السعادة التي يتمتع بها اهل المدينة  
تختلف قدراً ونوعاً تبعاً لدرجة الكمال التي بلغوها في الحياة الاجتماعية التي  
تتعلق بها درجة السعادة التي يبني الوصول اليها . فاذا فازوا بالانفعال عن  
المادة وروابط الاجسام فقد نجحوا من الطوارئ المعرصة لها الاجسام بطبيعتها  
بحيث لا يصح ان يطلق عليهم لا وصف الحركة ولا صفة السكون بل يقال عنهم  
ما يقال عما لم يخرج من عالم الغيب . وما توصف به الاجسام لا يجب في حق تلك  
النفوس المفارقة التي لا يمكن تعيينها بقول قائل . وذلك لصعوبة احاطة الفكر  
بالموجودات التي لا هي اجسام ولا علاقة للاجسام بها . واذا حولت اجسامهم الى  
العدم وخلصت نفوسهم واعتلت يخلقهم رجال غيرم في المدينة فيسلكون مسيلهم  
ويقتدون بسيرتهم الى ان تخلص نفوسهم وتحول اجسامهم الى العدم كما كان من  
امر اسلافهم ثم ترتقي تلك النفوس الى مصاف نفوس الذين سبقوا اربابها وتتحد  
تلك النفوس المتشابهة وتخرج بعضها البعض . وكلما زاد عدد النفوس المتخالفة من  
اجسادها واتدمجت كلها تمت سعادتها بحيث يزداد تمتع النفوس السابقة كلما  
لحقها سواها من نوعها لان كل نفس اذا فكرت في ذاتها وجوهرها المت بذوات  
وجواهر ماثلة لها وهذه الدوات والجواهر تزداد بمرور الايام كلما التصقت  
نفوس حديثة العهد بتلك الوحدة النفسية بالنفوس القديمة . وبذا تزداد سعادة  
تلك النفوس المتحدة الى اللانهاية . وهذه السعادة هي بمنها التي تكتسبها الاجيال  
الواحد بعد الآخر وهذا هو التعميم الابدى والذي يقصد اليه العقل الفعال اه  
هذا ملخص آراء المدينة الفاضلة ويرى اللبيب في تلك النبذة التي قد ينضض فهمها  
على البعض ان الفارابي لا يقول بخلود النفوس الا شريطة ان تكون قد وصلت في  
الحياة الدنيوية الى درجة العقل المستفاد وقد يفسر قوله بما يوافق رأي القائلين  
بوحدة النفوس وهو مبدأ ابن باجة وابن رشد

وكتاب المدينة الفاضلة طبعة في مصر ( في مطبعة النيل التي زالت ) الشيخ  
مصطفى القباني دمشقي الخطاط المتوفى في القصارف بالسودان عام ١٩١٤

## رأي ابن طفيل في وحدة النفوس

أما ابن طفيل أحد فلاسفة العرب الاشرافيين فلا يأبه لمؤلفات الفارابي فيما وراء الطبيعة . قال ان معظم ما دونه ابو نصر كان في المنطق واما ما اتصل بنا من كتبه في الحكمة الصحيحة مملوء بالريب والتناقض . ثم اشار ابن طفيل الى شكوك ابي نصر الفارابي في خلود النفس فقال ان الفارابي ذكر في كتابه كتاب الملة الفاضلة ان النفوس الحبيثة تبقى بعد الموت في عذاب ابدى ثم ذكر في سياسته ان تلك النفوس الحبيثة تتحول الى العدم ولا تتخذ الا النفوس الكاملة ويظهر ان كتاب الملة الفاضلة هو عينه كتاب السيرة الفاضلة وقد قال الفارابي فيه ان نفوس الدهريين والمنافقين والاشرار التي تفقه معنى الخير الاعلى ولا تحاول بلوغ شأوه تبقى بعد الموت محيطة بما كان ينقصها لترتقي الى درجة الكمال ثم لا تستطيع ان تكمل ولا ان تهلك بل تبقى معلقة بين بين وهي تقاسم في ذلك الامرين اما النفوس الجاهلة التي لم يصل علمها في الحياة الدنيا الى معرفة الخير الاسمي فانها تعود الى العدم المطلق ( نقله اسحق بن لطيف وابن فلكرية ) .

يقول ابن طفيل ثم ان ابا نصر الفارابي ذكر في شرحه لكتاب الاخلاق لارسطو ان ارقم ما يصل اليه الانسان هو في هذه الدنيا وان الخير الاسمي هو ايضا في هذه الدنيا وان كل ما يقال بوجوده بعد هذه الحياة ليس الا توهات اشبه بمخراقات السجائر

وقد اشار ابن رشد الى تلك الفترة الاخيرة في آخر كتابه في علاقة العقل المادي بالعقل للعالم اذ ذكر الفارابي ايضا ان الانسان لا يتأق له كمال ارقم من الكمال الذي يستطيع بلوغه بالنظر في العلوم العقلية . وهذا بيان قول ابن رشد فيما يتعلق بهذه القضية فانه بعد ان ذكر ما تعترض به طائفة من الفلاسفة على امكان اتحاد عقولنا بالمقول المتعارفة (١) قال : وهذه الاعتراضات التي دعت ابا نصر في شرحه لاخلاق ارسطو الى القول بأن الانسان لا يستطيع الوصول الى درجة ارقم من التي يصل اليها بالنظر في العلوم العقلية ثم اضاف الى ذكر تلك الاستحالة قوله بان وصول الانسان الى حالة الجوهر الفردي مجرد عن المادة ليس الا من

(١) يقصد بالمقول المفردة البانية في المفرد بعد ملاك ابدان اسطها

رعات العجائز . لان ما يولد ثم يموت ليس الخلود من صفاته . هذا آخر قول ابن رشد (رينان بن رشد) وقد الحقت هذه النبذة بالفارابي اعظم ضرر وادت الى تكفيره في نظر بعض المتشددين من اهل عصره ومن جاء بعده وأهموه بالقول بالتناسخ وهي تهمة مقتلة مبتدعة سبها سوء فهم قوله في المدينة الفاضلة (ص ٩٥ طبع مصر) « واذا مضت طائفة فبطلت ابدانها وخلصت انفسها وسعدت فخلقهم ناس آخرون في مرتبتهم بعدم قاموا مقامهم وفعلوا افعالهم » هذا لان الفارابي في مجرح الحكم انكر التناسخ انكاراً باتاً وما كانت ليقول به لانه لا ينطبق على سلسلة افكاره ولا يتفق مع آراء استاذه ارسطو اعلمه وبعده افلاطونية استفادها الحكيم اليوناني من المصريين القدماء وكررها في كتبه

الفارابي والخلود

ولا ريب عندنا في ان الفارابي ينكر بتاتا خلود النفس المفردة كما تقول به الاديان ويقول ان النفس البشرية لا تخلق ولا تلي من العقل الفعّال الا صور الموجودات وهي الصور التي تخلق وتعدم لان النفس لا تستطيع ان تخلق المعقولات المجردة الثنية لثلا بنسب اليها التناقض لجمها بين التقيضين وهذا رأي ابن رشد في بيان ما نسب الى ابي نصر من الشكوك وحق لنا ان نذكر ان هذه الشكوك بعينها هي التي نسبت الى ابن رشد ونسبت اليه وعرف بها وكفروه وصلبوه وعذبوه في قرطبة بسبها

بين يدينا غير كتاب المدينة الفاضلة كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين افلاطون والاهي وارسطوطاليس قال الفارابي في مقدمته : — لما رأيت اكثر اهل زماننا قد تماضوا وتنازعوا في حدوث العالم وقدمه وادعوا ان بين الحكيمين المقدمين المبرزين اختلافاً في اثبات المبدع الاول وفي وجود الاسباب منه وفي امر النفس والتعلل وفي المجازاة على الافعال خيرا وشرها وفي كثير من الامور المدنية والخلقية والمنطقية اردت في مقالي هذه ان اشرح في الجمع بين رأييها ( يقصد افلاطون وارسطو ) ثم اخذ الفارابي على طريقة افلاطون المستحدثة (نيوبلاتونيزم) يوفق بين الحكيمين . وليس في استطاعته تقص الهيات ارسطو ولا التحول عن عقيدته الاسلامية . على ان المعنى في هذه الرسالة يرى ان مقصد الفارابي كان

دينياً محضاً ولم يكن يقصد الى فحص رأي الحكيمين وتقديرها على الطريقة المنطقية ولكنه يقصد الى تفسير العالم تفسيراً فلسفياً لا يناقض الدين الاسلامي. فاختل الفروق الفلسفية بين الحكيمين وهي لم تكن لتعنى عليه وادعى ان اختلاف بينهما ظاهر من حيث الالفاظ وطريقة النظر. اما تعليمهما الفلسفي فواحد والتوفيق بينهما والانتفاع بأرائهما افضل من التفاوت. ولكن هذه الرسالة لم تصل به للغاية التي كان يرمي اليها. ونصيبها في نظرنا نصيب رسالة تهافت الفلاسفة التي كتبها الفارابي لمثل هذا الغرض ثم نقضها في كتابه النادر المسمى «المضنون به على غير اهل»

وقد نشر هذا الكتاب باللاتينية في باريس عام ١٦٣٨ وفيه تقسيم العقول حسب ما ذكره ارسطو ووحدة العقل والعقل والمعقول ووحدة العقول الفعالة ومنها العقل الالهي التعال دائماً. وقد ذكر ابو نصر في هذا الكتاب ان للفظ العقل ست معانٍ

الاول المعنى المبثذل في قول الجمهور في الناس انه قائل

الثاني المعنى الذي يقصده المتكلمون في قولهم هذا مما يوجب العقل او ينفيه  
الثالث المعنى الذي يصفه ارسطو بالتميز بين الصحيح وخطئه ويذكره في

كتاب البرهان

الرابع وهو الذي ذكره ارسطو في الكتاب السادس من الاخلاق وهو العقل الذي يفرق بين الخير والشر وهو يتزايد مع الاثان طول عمره

الخامس وهو الذي ذكره ارسطو في كتاب النفس وقسمه الى عقل بالقوة وعقل بالقدر وعقل مستفاد وعقل فعال

السادس هو العقل الذي ذكره ارسطو في المقالة السادسة من كتاب النفس وهو العقل التعال

وهذه الرسالة مطبوعة مع غيرها في مصر سنة ١٩٠٧

محمد لطفي جمعة

المحامي

متابى البقية